الصاعقة السابعة: فهمتُ الكتاب أبر الكُتُبْ(*)

فَـهِـمتُ الكتـابَ أبَرَّ الكُتُبْ ... فَسَمعًا لأمرِ أميرِ العَرَبْ(١)

وَطَوعًا لَهُ وابتِهاجًا بِهِ ... وإن قَصّرَ الفِعلُ عَمّا وَجَبْ

ومَا عَاقَني غَيرُ خَوفِ الوُشاةِ ... وإن الوِشايات طُرْقُ الكَذِبْ

وتَكثِيرِ قَومٍ وتَقليلِهم ... وتَقريبِهِم بَينَنَا والخَبَبْ

وَقَد كانَ يَنصُرُهُم سَمعُهُ ... ويَنصُرُني قَلبُهُ والحَسَبْ

ومَا قُلتُ للبَدرِ أنتَ اللجَينُ ... وما قُلتُ للشمسِ أنتِ الذّهَبْ

فَيَقلقَ منه البَعيدُ الأنَاةِ ... ويغضبَ منه البطيءُ الغَضَبْ(٢)

ومَا لاقني بَلَدٌ بعدكُمْ ... ولا اعتَضْتُ من رَب نعمايَ رَبْ(٣)

وَمَن رَكِبَ الثورَ بَعدَ الجَوَا ... دِ أنكَرَ أظلافَهُ والغَبَبْ(٤)

وَمَا قِستُ كُلَّ مُلُوكِ البِلادِ ... فَدَع ذِكرَ بعضٍ بِمَن في حلَبْ

ولَو كُنتُ سَمّيتُهُم باسمِهِ ... لَكَانَ الحَديدَ وكانُوا الخَشَبْ

أفي الرّأي يُشبَهُ أم في السّخَا ... ءِ أم في الشّجاعةِ أم في الأدبْ

(*) مناسبة القصيدة: رداً على كتاب سيف الدولة الذي أرسله إليه يطلب إليه القدوم إليه.

(١) أبر: أصدق.

(٢) الأناة: الرفق والحلم.

(٣) لاقني: أمسكني وحبسني.

(٤) الأظلاف: جمع ظلف. وهو للبقرة بمنزلة الحافر للدابة. الغبب: اللحم المتدلي تحت حنك البقرة.

obeikandl.com

مُـبَـارِكُ الاسمِ أغَـرُّ اللّقَبْ كَـرِيمُ الجِـرشّى شـرِيفُ النّسَبْ[١]

أخُـو الحـربِ يُخـدِمُ مما سـبَى قَـنَـاهُ ويَـخـلَـعُ مـا سَـلَـبْ[٢]

إذا حـازَ مـالًا فَـقَـد حـازَهُ فَـتى لا يُـسَـرّ بما لا يَهَبْ

وإنّـي لأتـبِـعُ تَـذكَـارَهُ صَـلاةَ الإلَـهِ وَسَـقيَ السُّحُبْ[٣]

وأثـنـي عَـلـيـه بـآلائـه وأقـربُ منه نأى أو قـرُبْ[٤]

وإن فـارقـتـني أمطارُهُ فـأكـثـر غُـدرَانهَـا مـا نضبْ[٥]

أيَـا سَـيـفَ ربكَ لا خـلقـه ويـا ذا المـكـارمِ لا ذا الـشـطـبْ[٦]

وأبـعَـدَ ذي هِـمّـةٍ هِـمّـةً وأعـرَفَ ذي رُتبَـةٍ بالـرتبْ

وأطـعَـنَ مَـن مَـسّ خَـطّـيّـةً وأضـرَبَ من بحُـسـامِ ضـربْ

بـذا الـلـفـظ نـاداك أهـلُ الثـغـورِ فـلبـيـت والهـامُ تحت القـضبْ

وقـد يئـسـوا من لذيذ الحـيـاةِ فـعـينٌ تغُـورُ وقلبٌ يجبْ[٧]

وغـرّ الدمـسـتق قـولُ العُـدَا ة إن عـليًّـا ثقـيـلٌ وصبْ[٨]

---

(١) الجرشى: النفس.
(٢) أخو الحرب: ملازمها.
(٣) الصلاة: بمعنى البركة.
(٤) آلائه: نعمه.
(٥) نضب: غار.
(٦) الشُّطب: جمع شطبة: الطريقة في متن السفينة.
(٧) تغور: تدخل في الرأس. يجب: يخفق.
(٨) الثقيل: الشديد المرض.

وقد علمت خيلُهُ أنَهُ ... إذا همّ وهو عَليلٌ ركبْ
أتاهُم بأوسَعَ من أرضِهِمْ ... طوال السبيب قصار العُسُبْ[١]
تغيبُ الشواهقُ في جيشِهِ، ... وتبدو صغاراً إذا لم تغبْ
ولا تعبرُ الريحُ في جَوّهِ ... إذا لم تخطّ القنا أو تشبْ[٢]
فغرَّق مدْنَهُمُ بالجُيُوشِ ... وأخفت أصواتهم باللجبْ
فأخبث به طالبًا قَتلَهُمْ ... وأخبِث به تاركًا ما طلبْ
نأيتَ فقاتلهُم باللّقَاءِ ... وجئت مقاتلهم بالهربْ
وكانُوا لهُ الفَخرَ لما أتَى ... وكُنتَ له العُذرَ لما ذهبْ
سَبَقتَ إليهم منایاهُمُ ... ومنفعةُ الغَوث قبلَ العطبْ
فخروا لخالقهم سجدًا ... ولو لم تغث سجدوا للصلبْ
وكم ذدت عنهم ردى بالرّدى ... وكشَّفْتَ من كُرَبٍ بالكربْ[٣]
وقد زعموا أنه إن يعُدْ ... يعُدْ معه الملك المعتصِبْ[٤]
ويستنصران الذي يعبُدانِ ... وعندهما أنه قد صلبْ
ليدفع ما نالهُ عنهما ... فيا للرجال لهذا العجبْ
أرى المسلمين مع المشركيـ ... ـن إما لعجزٍ وإما رهبْ

(١) السبيب: شعر الناصية والعرف. العسب: عظام الذنب.
(٢) تخط: تتجاوز.
(٣) ذاد عنه: دافع عنه. الكرب: الهموم والأحزان.
(٤) المعتصب: المتوج.

وأنت مع الله في جانبٍ قليلُ الرقاد كثيرُ التعبْ
كأنك وحدك وحدتهُ ودان البريّة بابنٍ وأبْ
فليت سيوفك في حاسدٍ إذا ما ظهرتَ عليهم كئبْ[1]
وليت شكاتك في جسمِهِ وليتك تجزي ببُغض وحُبْ
فلو كنت تجزي به نلتُ منـ ـك أضعف حظ بأقوى سَبَبْ

(١) ظهرت: غلبت. كئب: حَزِن.

obeikandl.com